المناسبة وانسجام الخطاب في التراث البلاغي عند العرب
- الخطاب القرآني أنموذجا-

concordance and harmony of the speech in the rhetoric heritage in the Arab countries -The koranic discourse as model-

طالب دكتوراه/حاتي زناتي
د. حبيب زحماني فاطمة الزهراء

قسم اللغة والأدب العربي- جامعة وهران1 أحمد بن بلة- وهران(الجزائر)

مخبر اللسانيات وتحليل الخطاب، جامعة وهران.

hatizenatihz@yahoo.com

تاريخ الإيداع: 2020/04/30 تاريخ القبول: 2021/07/11 تاريخ النشر: 2021/09/15

ملخص:

علم لغة النّص علم حديث ينظر في كيفيّة إنتاج النّصوص، ولقد وضع أصحاب هذا المذهب مجموعة من المبادئ التأسيسية والتنظيمية، من أجل الوقوف على نصوصيّة النّصوص، ومن بين هذه المبادئ التأسيسية معيار الانسجام، إذ يعدّ المسؤول المباشر على تحقيق الاستمرارية الدلالية بين أجزاء الخطاب.

تحاول هذه الورقة البحثية تسليط الضّوء على مثيلات هذه الدّراسات في التّراث البلاغي العربي القديم عامّة، وفي كتب التّفسير وعلوم القرآن خاصّة، وذلك بالوقوف على أهم المبادئ التي تحكم هذا المفهوم في الدراسات القرآنية.

وقد خلص البحث إلى نتيجة مفادها أن التّراث البلاغي العربي اعتنى بالانسجام في القرآن الكريم، من خلال الوقوف على أهم أنواعه، والمتمثلة في: التناسب الداخلي، والتناسب الخارجي.

الكلمات المفتاحية: التّناسب؛ الانسجام؛ التّعالق النّصي؛ علم لغة النص؛ معايير اللّسانيات النّصيّة؛ أنواع التّناسب.

Abstract :

The linguistics of the text is a new science that looks into the modality of producing texts. The authors of this doctrine have proposed a number of founding and organizing principles so as to determine the texture of the text Among these principles the criteria of harmony which is considered as the semantic continuity among the parts of the discourse.

The present paper of research tries to shade light on the similar examples of these studies in the rhetoric of the ancient Arab in general in the books of explanation and sciences of the holy Koran, Mainly the profound study of the most important principles that are conducting such concept in he Koranic Studies.

The research reached result which shows clearly that the Arabic rhetoric heritage took into account the harmony in the Holy Koran through the profound study of its most categories which are: the internal concordance and the external concordance.

Key words: concordance; coherence; text entangling; text linguistic; criteria of textual linguistics; kind of concordance.

1- مقدمة

تعد سنة 1972 البداية غير المباشرة لظهور علم لغة النص، ونقصد بذلك بداية تجاوز نحو الجملة عن طريق حملات النقد العنيفة التي وجهت له من طرف العديد من العلماء؛ على غرار علماء علم النفس وعلم الاجتماع وعلم الحاسوب وغيرهم، هؤلاء جميعا أيقنوا أن هذا النحو أصبح غير قادر على إعطاء نتائج مرضية لفهم النص.[1]

وبسبب هذا العجز في فهم النص أخذت بعض الفروع اللغوية على عاتقها إيجاد حلول لفهم النص، ومن بين هذه الفروع علم لغة النص، وذلك عن طريق توسيع مجال الدراسة بإدخال عناصر من خارج النص، ذلك لأن « العنصر الحاسم في تكوين النص هو الدور الذي يقوم به في الاتصال الإنساني، ولذا فإن علم لغة النص لا يتوقف عند كلمات النص وتحليلها في مستويات الدرس اللغوي من أصوات وصرف ونحو ودلالة فحسب، وإنّما يحاول النفوذ إلى ما وراء النص الجاهز من عوامل معرفية ونفسية واجتماعية، ومن عمليات عقلية كان النص حصيلة لتفاعلها جميعا».[2]

من هذا المنظور المتمثل في المزاوجة بين الداخل والخارج أو بين ما هو لغوي وما هو غير لغوي لفهم النص، أسس علماء علم لغة النص معايير هذا العلم، وأوجدوا مفهوم النص انطلاقا من توفر سبعة معايير من أجل إيجاد النصوص واستعمالها[3] كان معيار الانسجام أحدها؛ وهذه المعايير هي: الاتساق، الانسجام، القصديّة، التقبّلية، الإعلامية، المقاميّة، والتّناص. ورأوا أن تحقيق نصّية النصوص لا تتأتى إلا بتظافر عمل هذه المعايير بعضها مع بعض. وتفصيل هذه المعايير على النحو التالي:

1- **الاتساق** (COHESION): ويعرف أيضا بالسبك والتضام، وهو«يترتب على إجراءات تبدو بها العناصر السطحية SURFACE على صورة وقائع يؤدي السابق منها إلى اللاحق progressive occurrance بحيث يتحقق لها الترابط الرصفي SEQUENTIAL CONNECTIVITY وبحيث يمكن استعادة هذا الترابط»[4]. ويتم تحقيق هذه الاستمرارية الخطية بين أجزاء النص عن طريق مجموعة من وسائل الربط النحوي والمعجمي، ومن وسائل النوع الأولى: الربط بالأداة، الإحالة، الحذف، ومن وسائل النوع الثاني: التكرار، الاستبدال، التضام.

2- **الانسجام** (COHERENCE): ويدعى أيضا الالتحام، وهو« يتطلب من الإجراءات ما تنشط بع عناصر المعرفة لإيجاد الترابط المفهومي CONCEPTUAL CONNECTIVITY واسترجاعه».[5]

3- **القصدية**(INTENTIONALITY): يتضمن هذا المعيار« موقف منشئ النص من كون صورة ما من صور اللغة قصد بها أن تكون نصّا يتمتع بالسبك والالتحام وأن مثل هذا النص وسيلة INSTRUMENT من وسائل متابعة خطة معينة للوصول إلى غاية بعينها».[6] ويأتي أهمية التخطيط ذلك لأن تعدد الخطط والاستراتيجيات الخطابية مدعاة لتنوع الخطابات، وبالتالي النجاح في بلوغ الأهداف.

4- **التّقبلية** (ACCEPTABILITY): ينظر هذا المعيار في « موقف مستقبل النص إزاء كون صورة ما من صور اللغة ينبغي لها أن تكون مقبولة من حيث هي نص ذو سبك والتحام».[7]

5- **الإعلامية** (INFORMATIVITY): ونقصد بها «مدى التوقع الذي تحظى به وقائع النص المعروض في مقابل عدم التوقع، أو المعلوم في مقابل المجهول»[8]، ويتم ذلك في الغالب عن طريق الخروج من اللغة العادية للنص إلى اللغة الفنية، هذا مع تفادي حدوث أي فجوات أو انقطاعات في بنية النص أثناء هذا الخروج.

6- **المقامية** (SITUATIONALITY): وتسمى أيضا رعاية الموقف، و« تتضمن العوامل التي تجعل النص مرتبطا بموقف سائد يمكن استرجاعه، ويأتي النص في صورة عمل يمكن له أن يراقب الموقف وأن يغيره».[9]

7- **التّناص**(INTERTEXTUALITY): وهو « يتضمن العلاقات بين نص ما ونصوص أخرى مرتبطة به وقعت في حدود تجربة سابقة سواء بوساطة أم بغير وساطة».[10]

تحاول هذه الورقة البحثية النَّبش في التراث البلاغي العربي عامّة، وفي كتب علوم القرآن والتفسير خاصّة، من أجل استخراج أهم المقولات المسؤولة عن انسجام الخطاب القرآني. فهل استوعبت هذه الدراسات هذا المفهوم أم لا؟.

فرضية البحث:

وضعت الدراسات الحديثة على غرار علم لغة النص شرط إنتاج النصوص وتحقيق نصوصيتها توفر مجموعة معايير؛ ومن بين هذه المعايير معيار الانسجام. وتسعى هذه الدراسة إلى إثبات أن فكرة الانسجام ليست وليدة المنجز التأسيسي النصي الغربي المعاصر، بل إن البلاغيين العرب قد استعملوا هذا الإجراء في دراساتهم حول فهم لغة القرآن الكريم وإعجازه.

أهداف البحث:

- إبراز أهم علاقات التناسب في القرآن الكريم التي تحكمه على غرار: التناسب الداخلي والتناسب الخارجي.

منهج البحث:

تحاول هذه الدراسة عن طريق المنهج الوصفي المشفوع بالتحليل، إبراز أهم المقولات التي أسهمت في انسجام الخطاب القرآني في التراث البلاغي العربي.

وقبل التطرق إلى مفردات البحث، تُحتِّم علينا منهجية البحث الوقوف على ماهية هذا المفهوم من منظور الدراسات الحديثة، وبالضبط من منظور علم لغة النص.

2- مفهوم الانسجام من منظور علم لغة النص

الانسجام في منظور علم لغة النص معيار متعلق بالنص في حد ذاته، «يدرس ما تتصف به مكونات عالم النص (أي تشكيلة المفاهيم والعلاقات التي يستند إليها ظاهر النص) من وثاقة صلة وسهولة تواصل فيما بينها».[11] ونعني بالمفهوم هنا« تشكيلة من المعرفة(أي محتوى معرفي) يمكن استرجاعها أو استثارتها بقدر ما من الوحدة والاتساق في الذهن»،[12] أمّا العلاقات فهي «الروابط القائمة بين المفاهيم والتي تتجلّى معا في عالم النص، وتشتمل كل رابطة منها على تسمية للمفهوم الذي تتصل به».[13]

ولتوضيح عمل هذين المفهومين من أجل إنتاج المعنى، يضرب لنا أصحاب كتاب مدخل إلى علم لغة النص مثالا بسيطا لتوضيح ذلك، إذ«تعد كلمة "أطفال" في (أطفال في الطريق) مفهوما لشيء، كما تعد كلمة " تمهل" مفهوما لحدث، وهنا تقوم علاقة المكان بين الأطفال والطريق».[14]

وبالرغم من سهولة استخراج المعنى من هذا المثال، إلا أن ترتيب الخطاب ككل يعد من المحكات الصّعبة التي يسعى منتجو النصوص للوصول إليها من أجل استيعاب كبير من طرف مستقبلي النصوص. ذلك لأن « العلاقات غير متمثلة بصراحة في النص، أي أنها لا تحظى باستثارة مباشرة من خلال تعبيرات ظاهر النص، وإنما يقوم المرء بتزويد ما يلزم من العلاقات لاستخراج المعنى من النص».[15]

وإذا كان المعيار الأول المتعلق بالنص والذي اصطلح على تسميته بالاتساق، يقوم بصرف الاهتمام تجاه العلاقات غير الخفية التي تنظِّم النص وتولده؛ بمعنى رصد المتحقق عن طريق تظافر عمل أدوات الربط النحويّ والمعجميّ لتحقيق الاستمرارية الخطّية بين أجزاء الخطاب، فإن معيار الانسجام يعول كل التعويل على صرف الاهتمام للعلاقات الخفية التي تنظم النص وتولده.[16] ولقد انتهجت الدراسات الحديثة عدّة إجراءات من أجل الوقوف على

هذه العلاقات الخفية لتحقيق انسجام الخطاب ككل، لربط المفردات، والجمل، والفقرات، وحتى النصوص بعضها ببعض، للوصول إلى المعنى الكلي للخطاب، ومن بين هذه الأدوات:[17]

- ربط النص عن طريق العناصر المنطقية، كالسببية والعموم والخصوص.

- معلومات عن تنظيم الأحداث والأعمال والموضوعات والمواقف.

- السعي إلى التماسك فيما يتصل بالتجربة الإنسانية.

وضع هورست إيزنبرج (Horst Isenberg) مجموعة من العلامات الدلالية التي تعين منتج النص على تحقيق انسجام الخطاب جمعها في اثني عشرة علامة على النحو التالي: الإسناد على متقدم، الارتباط السّببي، الارتباط لوجود دافع أو علّة، التفسير التشخيصي، التخصيص، نظام ما وراء اللغة، الارتباط الزمني، الارتباط الافتراضي، التقابل العكسي، التطابق بين الإجابة والسؤال، المقارنة، الإضراب عن قول سابق[18]. وبالرغم من كفاءة هذه السمات في تحقيق انسجام الخطاب إلا أنها في رأي بعض العلماء غير كافية لتحقيق انسجام كلي للخطاب، ما جعل بعضهم يستدرك عليه بإضافة معايير أخرى للتماسك الدلالي، كالتماثل الزمني، التقابل الكمّي، والتخمين المسوق.[19]

من المقترحات المهمة أيضا التي عنيت بهذا المفهوم ما جاء به فان دايك (Van Dijk) تحت عنوان البنيات الكبرى للخطاب والتي جعلها في أربع قواعد كلية تعمل جنبا إلى جنب من أجل تحقيق انسجام الخطاب، هذه البنيات هي:[20]

1- الحذف: ويقصد به إهمال المعلومات غير الواردة أو الأقل أهمية في النص.
2- الاختيار: ويقصد به انتقاء المعلومات الأساسية التي يعد غيرها نتائج لها.
3- التعميم: وهو عنده تعميم المعلومات الذي يظهر بعض المسائل في صورة مجردة.
4- البناء: ويقصد به الإجمال الذي يتجاوز المعلومات غير المهمة أو المعروفة ضمنا، ولا يتناول المعلومة الأساسية حرفيا.

هذه القواعد الكبرى تشتغل في النص وفق مبدأ«التضمّن الدلالي، وهو يعني أن كل بنية كبرى نصل إليها عبر القواعد الكبرى يجب أن تكون متضمنة دلاليا في جملتها داخل مجموعة من الأقوال التي تطبق عليها القاعدة»[21] من أجل حصر معنى النص وتحقيق الربط المفهومي بين أجزائه، إضافة لهذه البنيات الكبرى التي تحدث عنها دايك، أتى في نفس الكتاب (النص والسياق) على ذكر مجموعة من المبادئ التي تعنى هي الأخرى بانسجام الخطاب وتحقق الاستمرارية الدلالية بين أجزائه، كترتيب الحدث وترتيب المتوالية، المعلومات الصريحة والضمنية في الخطاب.[22]

ومن أجل هذا الهدف الأخير الذي ذكرناه في الفقرة السابقة والمتمثل في حصر معنى النص وتحقيق الربط المفهومي بين أجزائه، صاغ روبيرت دي بوجراند (Robert de Beaugrande) مقترحه، المتمثل في حصر المعنى المقالي من خلال ربط مفاهيم النص بعضها مع بعض عن طريق مجموعة من العلاقات، أي أن ربط المعارف التي تنطوي عليها تلك المفاهيم المبثوثة في النص هي التي تقودنا إلى انسجام النص، وذلك عن طريق مجموعة من الإجراءات الذهنية كالتخزين النشط، الاستثارة، توسيع الاستثارة، الذاكرة، الاقتصاد، الأنماط الكلية، والتوريث.[23]

هذا عن الدراسات الغربية الحديثة التي اعتنت بالنص وجعلته محورا من محاور الدراسة على غرار علم لغة النص، لكن السؤال الذي يطرح نفسه: هل عرف الدرس البلاغي العربي مثل هذه الدراسات التي تُعنَى بانسجام الخطاب أم لا؟ وإن كانت الإجابة بنعم، ما هي أهم الآليات المُتَبعة لحصول ذلك؟.

عني الدرس البلاغي العربي القديم بمفهوم الانسجام عناية لا مثيل لها وجاءت هذه العناية لهذا المفهوم بوصفه المسؤول المباشر عن فهم النص وإيجاد دلالته، فوضعوا له عمودا يحكمه وقوانينا تسهله، وأتوا في هذا الدرس بعدّة مصطلحات ارتبط كل واحد منها بلون بلاغيّ معيّن، ومن بين هذه المصطلحات ما جاء في كتب التفسير وعلوم القرآن تحت اسم المناسبة، فما مفهومها؟ وما هي أهم المبادئ التأسيسية والقوانين الإجرائية التي تحكمه.

3- المناسبة في اللغة والاصطلاح

1-3 لغة

جاء في مادة نسب: النَّسبُ واحد الأنساب. والنِّسبة والنُّسبة مثله. وانتسب إلى أبيه، أي اعترى. وتَنَسَّب، أي ادعى أنه نسيبك. وفي المثل " القريبُ من تَّقربً لا من تَنَسَّبً "..... وفلان يناسب فلانا فهو نسيبه، أي قريبه. وتقول: ليس بينهما مناسبة، أي مشاكلة[24]. والنسيبُ: المناسبُ، والجمع نسباء وأنسباءُ؛ وفلان يناسب فلانا، فهو نسيبه أي قريبه..... وتقول: ليس بينهما مناسبة أي مشاكلة.[25] وفي المصباح المنير: المُناسِبُ القريبُ وبينهما (مناسبة) وهذا (يناسبُ) هذا أي يقاربُهُ شَبَهًا.[26]

2-3 اصطلاحا

قال الإمام البقاعي في كتابه نظم الدرر، علم المناسبات علم « تعرف منه علل الترتيب»،[27] ويقصد بعلل الترتيب، مختلف أوجه الارتباط والتّعالق بين أجزاء الخطاب، وعلل الترتيب هذه في القرآن الكريم قد تكون على مستوى السورة الواحدة، كما قد تكون فيما بين السور.

4- بعض أقوال العلماء في علم المناسبات

أخذ مفهوم الانسجام في التراث البلاغي العربي عدة تسميات، وتباينت هذه التسميات من فرع إلى آخر، ومن بين هذه التسميات التي جاءت في كتب البلاغة، والتفسير، وعلوم القرآن: التّعالق، النظم، التّناسب، الالتحام، التّضام،التلاؤم، الارتباط، الاتّصال، الترتيب،..... وبالرغم من هذا التباين في التسمية إلا أنها جميعا تدور في نفس المعنى، وتؤكد على ضرورة حصول الربط الدلالي بين أجزاء الخطاب، وقبل أن نُجلي ماهية هذه المفهوم، سنقف على بعض هذه الأقوال التي أسست لمفهوم النص انطلاقا من حضور الانسجام في الخطاب.

يذكر الحاتمي في كتابه حلية المحاضرة « إن القصيدة مثلها مثل خلق الإنسان في اتصال بعض أعضائه ببعض، فمتى انفصل واحد عن الآخر، أو باينه في صحة التركيب، غادر بالجسم عاهة، تتخون محاسنه، وتعفى معالم جماله، ووجدت حذّاق الشّعراء، وأرباب الصّناعة من المحدثين، محترسين من مثل هذه الحال، احتراساً يجنبهم شوائب النقصان، ويقف بهم على محجّة الإحسان، حتى يقع الاتّصال، ويؤمن الانفصال، وتأتي القصيدة في

تناسب صدورها وأعجازها، وانتظام نسيبها بمديحها كالرسالة البليغة، والخطبة الموجزة، لا ينفصل جزء منها عن جزء».[28]

ويرى ابن طباطبا أنه على الشاعر« أن يتأمل تأليف شعره، وتنسيق أبياته، ويقف على حسن تجاورها أو قبحه، فيلائم بينها، لتنتظم له معانيها ويتصل كلامه فيها ».[29]

وقال ابن العربي في سراج المريدين: «ارتباط آي القرآن بعضها ببعض، حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني، منتظمة المباني، علم عظيم».[30]

وقال الشيخ ولي الدين الملوي: «قد وَهِمَ من قال: لا يطلب للآي الكريمة مناسبة؛ لأنها على حسب الوقائع المفرقة، وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلا، وعلى حسب الحكمة ترتيبا وتأصيلا، (...) والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها، أو مستقلة، ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها؟ ففي ذلك علمٌ جمٌّ. وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقت له».[31]

وقال الإمام الرازي في سورة البقرة: «ومن تأمّل في لطائف نظم هذه السورة، وفي بدائع ترتيبها، علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه، فهو أيضا معجز بحسب ترتيبه ونظم آياته، ولعلّ الذين قالوا: إنه معجز بسبب أسلوبه، أرادوا ذلك، إلاّ أني رأيت جمهور المفسّرين معرضين عن هذه اللّطائف، غير منتبهين لهذه الأمور، وليس الأمر في هذا الباب إلا كما قيل:

والنجمُ تستصغرُ الأبصارُ رؤيته والذنب للطرف لا للنجم في الصِغَرِ».[32]

وقال في سورة النساء: « أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط».[33]

وكان أبو بكر النيسابوري يقول « إذا قرئ عليه الآية: لِمَ جُعِلَت هذه الآية إلى جنب هذه؟ وما الحكمة في جعل هذه السّورة إلى جنب هذه السّورة؟ وكان يزري على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة».[34]

كانت هذه بعض الأقوال لبعض العلماء، وهذه الأقوال وإن كانت عامة إلا أنها تُبِينُ عن مدى وعي هؤلاء العلماء بدور هذا المفهوم في بناء المعنى خاصة، وفي إنتاج النص عامة.

5- تناسب آي القرآن وسوره بين التوقيف والاجتهاد

يجد المتتبع للعديد من المصنفات أن أول ما صدّرَ العلماء به الكلام في باب ترتيب آي وسور القرآن، ذكر هل هذا الترتيب صادر عن الرسول –صلى الله عليه وسلم- أم هو موكول

للصحابة- رضي الله عنهم- من بعده. أمّا ما يتعلق بترتيب الآي فإنّهم اتفقوا على أنه من عنده – صلى الله عليه وسلم- وهذا الاتفاق كفانا من تتبع أقوالهم وأدلّتهم في ذلك. وأما ما يتعلق بترتيب سور القرآن فقد اختلفوا في ذلك، وتباينت أقوالهم إلى ثلاثة أقسام، وأودّ أن أنبه هنا أن عرضنا لهذه الأقسام؛ ليس لترجيح رأي على آخر بقدر ما هو عرض يبرز دور التناسب في ترتيب سور القرآن العظيم.

ذكر الكرماني في كتابه أسرار التكرار: «أول القرآن سورة الفاتحة، ثم البقرة، ثم آل عمران، على هذا الترتيب إلى سورة الناس، وهكذا هو عند الله في اللوح المحفوظ، وهو على هذا الترتيب كان يعرضه -عليه الصلاة والسلام- على جبريل -عليه السلام- كل سنة، أي: ما كان يجتمع عنده منه».[35] وأيّدَ هذا القول كل من الطيبي، وابن الحصار، وأبو جعفر النحاس[36] وغيرهم، و ردّ السيوطي بهذا القول على من يرى بالتوقيف بسبب اختلاف مصاحف السلف في ترتيب السور، في أن هذه المصاحف وقع فيها نسخ.*

أما القول الثاني، فيرى أن ترتيب السور باجتهاد من الصحابة -رضي الله عنهم-، ويعول أصحاب هذا المذهب في رأيهم هذا بالإضافة إلى ما قلناه في القول الأول، على«أن الآثار المستفيضة والمقطوع به منها، إنما ورد ذلك في الأكثر ولم يرد فيما بين كل سورتين سورتين، ولا شكّ أنه إذا بقي بعض ذلك لاجتهادهم ولو فيما بين سورتين، جرى المقول المشهور عليه»،[37] ومن هذه الآثار** التي ورد فيها الدليل قوله عليه السلام:(اقرؤوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران).*** وعن أبي إسحاق قال: «سمعت عبد الرحمن بن يزيد، سمعت ابن مسعود، يقول في بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء: إنّهن من العتاق الأول، وهن من تلادي».[38]

وعن عائشة رضي الله عنها أن النَّبِي صلَّى الله عليه وسلّم: «كانَ إذا أوَى إلى فراشِهِ كلَّ لَيلةٍ، جَمَعَ كفَّيهِ ثم نفث فيهما؛ فقرأَ فِيهِمَا: (قُل هُو الله أحدٌ) و (قُل أعوذُ بربِّ الفَلقِ) و (قُل أعوذُ بربِّ الناس)، ثم يمسح بهما ما استطاعَ من جسدِهِ، يبدأ بهما على رأسه ووجهه، وما أقبل من جَسدِهِ، يفعلُ ذلكَ ثلاث مراتٍ».[39]

أما القول الثالث، فيرى أصحابه بالتفصيل، ونقصد بالتفصيل كما ينقل عن أبي محمد عبد الحق بن عطية، أن كثيرا من سور القرآن قد كان علم ترتيبها في أيامه - صلى الله عليه وسلم- وأما ما لم يصرّح به فقد فوّض فيه الأمر إلى الأمة بعده.[40]

وبعد عرضنا لبعض أقوال العلماء في هذه المسألة والذي كان بين مؤيد ومخالف ومفصل، يَجدُر بنا هنا عرض ما اتفقوا عليه في هذه المسألة، وهو أن التناسب حاصل لا محالة سواء أكان الأمر توقيفا منه-عليه الصلاة والسلام- أم اجتهادا من الصحابة- رضي الله عنهم- « فإن كان بتوقيف منه - صلى الله عليه وسلم -، فلا مجال للخصم بعد ذلك التحديد الجليل والرسم، وإن كان مما فوّض فيه الأمر إلى الأمة بعده فقد أعمل الكل من الصحابة في ذلك جهده، وهم الأعلياء بعلمه، والمسلم لهم في وعيه وفهمه، والعارفون بأسباب نزول الآيات، ومواقع الكلمات، وإنما ألّفوا القرآن على ما كانوا يسمعونه من رسول الله - صلى الله عليه وسلم-، وهذا قول مالك -رضي الله عنه- في حكاية بعضهم عنه، ومالك أحد القائلين بأن ترتيب السور اجتهاد من المسلمين (...) فكيف ما دار الأمر، فمنه صلى الله عليه وسلم عرف ترتيب السور، وعلى ما سمعوه منه بنوا جليل ذلك النظر، فإذا إنّما الخلاف هل ذلك بتوقيف قولي أو بمجرد استناد فعلي بحيث بقى لهم فيه مجال للنظر؟ فهذا موضع الخلاف ».[41] أما إذا ظنّ ظانّ بعد كل ما قلناه عن مراعاة التناسب في ترتيب سور القرآن، في أن الصحابة-رضي الله عنهم- لم يعتدُّوا به في الترتيب، « فقد سقطت مخاطبته، وإلا فما المراعى وترتيب النزول غير ملحوظ في ذلك بالقطع، بل هذا معلوم في ترتيب آي القرآن، الواقع ترتيبها بأمره عليه السلام وتوقيفه بغير خلاف».[42] وما يؤيد هذا الرأي أيضا، اعتناء العلماء في مصنّفاتهم بأوجه كثيرة للتناسب داخل السورة الواحدة وما بين السور.

6- أنواع التناسب في القرآن الكريم

سنحاول في هذا الحيز إبراز بعض أوجه التناسب في الخطاب القرآني، وأقول بعض الأوجه لأن أسرار هذا الخطاب الإلهي لا تنتهي، وحكمه وبدائعه لا تنقضي، ويستحيل لأحد – من العلماء مهما كان علمه- أن يلمّ بكل ما جاء في التنزيل من أسرار، وإنّما أردنا أن يكون عملنا هذا تنويها لبعض ما جاء به العلماء؛ في أن آي وسور القرآن العظيم تتظافر وتتآزر في معناها، لتصبح في تظافرها وتآزرها كالكلمة الواحد.

أود أن أنبه أيضا -وهذا الأهم- على أن هذه الأوجه التي سأذكرها جاءت بهذا الترتيب لتتماشى مع الخطة التى رُسِمت لهذا البحث، وإلاّ فإن هذه الأوجه تتلاحم مع بعضها البعض، بين الآي والسور، ومع أوجه أخرى لم تذكر هنا، لتزيد النص ارتباطا واعتلاقا.

6-1- التناسب الداخلي: نقصد بالتناسب الداخلي هنا، أوجه الترتيب التي تحكم السورة الواحدة، والقوانين التي تنظمه للوصول إلى المعنى، وسنحاول في هذا النوع تسليط الضوء على

بعض هذه الأوجه من مثل، تناسب اسم السورة مع موضوعها، تناسب مطلع السورة مع مقطعها، تناسب آي السورة عن طريق حسن التخلص، التناسب بين آي السورة، مناسبة فواصل الآي للآي التي ختمت بها. وقبل التطرق إلى هذه الأوجه، يلزمنا هنا أن نقف عن ماهية السورة لغة واصطلاحا ما دامت هي موضوع الدراسة.

6-1-1- السورة في اللغة والاصطلاح

6-1-1-1- لغة: يجد المتتبع لهذه المادة في المعاجم العربية يدور معناها حول العلو والارتفاع، فقد قيل: إنها من سور البناء، أي القطعة منه، أي منزلة بعد منزلة[43]، وقيل: من سور المدينة لإحاطتها بآياتها واجتماعها كاجتماع البيوت بالسور... وقيل من السورة بمعنى المرتبة؛ لأن الآيات مرتبة في كل سورة ترتيبا مناسبا ... وقيل: لارتفاع قدرها، لأنها كلام الله تعالى، وفيها معرفة الحلال والحرام... وقيل أصلها من السَّورَة وهي الوثبة، تقول: سُرت إليه وثرتُ إليه.. وقيل: هو بمعنى العلو، ومنه قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ [ص/21]. نزلوا عليه من علو، فسمّيت القراءة به لتَرَكُّب بعضها على بعض. وقيل لعلو شأنه وشأن قارئه.[44] وقيل: لارتفاعها لأنها كلام الله. والسورة: المَنزِلة الرَّفيعة قال النابغة:

ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك حولها يتذبذب[45]

6-1-1-2-اصطلاحا: وأما في الاصطلاح فقال الجعبري: «حد السورة قرآن يشتمل على آي ذوات فاتحة وخاتمة، وأقلها ثلاث آيات».[46] وقال غيره: السورة «الطائفة المترجمة توقيفا، أي: المسماة باسم خاص بتوقيف من النّبي صلى الله عليه وسلم».[47]

6-1-2- أنوا ع التناسب الداخلي:

6-1-2-1- تناسب اسم السورة مع موضوعها: من النتائج المهمة التي لهج بها العلماء المحدثين، ورأوا أنها كالفتح المبين الذي سبقوا به غيرهم عنايتهم بالعنوان، واعتباره عتبة من عتبات الولوج إلى النص وفهمه، وإذا ما نظرنا في التراث البلاغي العربي، وجدنا هذه النتيجة واضحة المعالم و مبثوثة في كتب التفسير وعلوم القرآن والبلاغة، وهو دليل عن وعي هؤلاء العلماء لدور هذه العتبة في فهم النص، يقول البقاعي: « اسم كل سورة مترجم عن مقصودها، لأن اسم كل شيء تظهر المناسبة بينه وبين مسمّاه عنوانه الدال إجمالا على تفصيل ما فيه، (...) ومقصود كل سورة هاد إلى تناسبها».[48] وذكر صاحب البرهان أثناء حديثه عن اختصاص كل سورة بما أنزلت، أنه صنيع دأبت عليه العرب في خطبهم، ومكاتباتهم وقصائدهم، فكانت

«تراعي في الكثير من المسميات أخذ أسمائها من نادر أو مستغرب يكون في الشيء، من خلق أو صفة تخصه، أو تكون معه أحكم أو أكثر أو أسبق لإدراك الرائي للمسمى. ويسمون الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها، وعلى ذلك جرت أسماء سور الكتاب العزيز؛ كتسمية سورة البقرة بهذا الاسم لقرينة ذكر قصّة البقرة المذكورة فيها وعجيب الحكمة فيها، وسُمّيت سورة النساء بهذا الاسم لما تردد فيها من كثير من أحكام النساء، وتسمية سورة الأنعام لما ورد فيها من تفصيل أحوالها ».[49] وهكذا مع كل سور القرآن العظيم، فإنك إذا فتّشت عن سبب هذه التسمية لوجدت سببه في السورة نفسها.

6-1-2-2- مناسبة مطلع السورة مع مقطعها:

إن المتتبع لكتب البلاغة، يجد عناية الشعراء والكتاب وحتى الخطباء بابتداء قصائدهم ومقاطعها، وذلك وعيا منهم بدور هذين الأخيرين في تحقيق انسجام الخطاب واتساقه، ولعلّ شغفهم هذا نابع من تأثرهم بالأسلوب القرآني؛ الذي كان حسن الابتداء لونا من ألوانه، يقول صاحب المنهاج في هذا: «وتحسين الاستهلالات والمطالع من أحسن شيء في هذه الصناعة، إذ هي الطليعة الدّالة على ما بعدها، المتنزّلة من القصيدة منزلة الوجه والغرّة، تزيد النفس بحسنها ابتهاجا ونشاطا، لتلقي ما بعدها إن كان بنسبة من ذلك، وربما غطت بحسنها على كثير من التّخون الواقع بعدها إذا لم يتناصر الحسن فيما وَلِيَهَا»،[50] وكل ابتداءات سور القرآن جاءت على أكمل وجه وأتم صورة، فإنك «إذا تدبّرتها جملتها، وتفصيلها، ومفرداتها، ومركباتها، ومعجماتها، ومعرباتها، ونظرت في أعداد حروفها، وما يوافق أعدادها من العدد الحسابي، وما نسب إليها من المعاني، رأيت من البلاغة والتفنّن في أنواع الإشارة ما تقصر عنه العبارة».[51] ومن أمثلته في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وبَثَّ مِنهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيكُم رَقِيباً﴾ [النساء/ 1]. يعقب السيوطي عن براعة هذا الاستهلال بقوله: «فانظر إلى هذه المناسبة العجيبة، والافتتاح، وبراعة الاستهلال، حيث تضمنت الآية المفتتح بها ما في أكثر السورة من أحكام: من نكاح النساء ومحرماته، والمواريث المتعلقة بالأرحام، وأن ابتداء هذا الأمر بخلق آدم، ثم خلق زوجته منه، ثم بثّ منهما رجالًا كثيرًا ونساء في غاية الكثرة ».[52] وما يقوي الانسجام في السورة تعالق المطلع مع المقطع، مما يجعل السورة بأكملها متآخية مع بعضها البعض، ولقد أشار لهذا المعنى عدة علماء، من بينهم صاحب التفسير المحيط الذي يقول: «تتبعت أوائل السور المطوّلة فوجدتها يناسبها أواخرها، بحيث لا يكاد

ينخرم منها شيء،(...) وذلك من أبدع الفصاحة، حيث يتلاقى آخر الكلام المفرط في الطول بأوله، وهي عادة للعرب في كثير من نظمهم، يكون أحدهم آخذا في شيء، ثم يستطرد منه إلى شيء آخر، ثم إلى آخر، هكذا طويلا، ثم يعود إلى ما كان آخذا فيه أولا، ومن أمعن النظر في ذلك، سهل عليه مناسبة ما يظهر ببادئ النظر أنه لا مناسبة له».[53]

أيضا أتى السيوطي في كتابه مراصد المطالع، على ذكر أوجه التناسب بين مطالع ومقاطع سور القرآن العظيم، ومن هذه الأوجه: ما افتتحت بذكر القرآن واختتمت به، ومنها ما افتتحت بالتسبيح وختمت بالتحميد، ومنها ما جاء التناسب بالتضاد، ومنها ما افتتحت باسم الله جل جلاله وختمت به، ومنها ما افتتحت بوصف الله جلّ جلاله وختمت به، ومنها ما بدئت وختمت بنفس اللّفظ، وغيرها من أوجه التناسب، [54] وكلها جاءت على أتم وأكمل وجه.

6-1-2-3- تناسب الآي عن طريق حسن التخلص: وهو «أن يأخذ مؤلّف الكلام في معنى من المعاني فبينا هو فيه إذ أخذ في معنى آخر غيره، وجعل الأول سببا إليه، فيكون بعضه آخذا برقاب بعض، من غير أن يقطع كلامه ويستأنف كلاما آخر، بل يكون جميع كلامه كأنّما أفرغ إفراغا».[55] ومن أدلة هذا النوع من القرآن قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور/ 35]. يقول بدر الدين الزركشي: « فإن فيها خمس تخلّصات: وذلك أنه جاء بصفة النّور وتمثيله، ثم تخلّص منه إلى ذكر الزّجاجة وصفاتها، ثم رجع إلى ذكر النور والزّيت يستمد منه، ثم التخلص منه إلى ذكر الشجرة، ثم تخلّص من ذكرها إلى صفة الزيت، ثم تخلّص من صفة الزيت إلى صفة النور وتضاعفه، ثم تخلّص منه إلى نعم الله بالهدى على من يشاء».[56] فانظر إلى روعة هذه التخلّصات و ما أبدعها، وانظر ما صنعته من تناسب بين الآيات.

6-1-2-4- التناسب بين آي السورة:

ذكر الزركشي في برهانه أن التناسب بين الآيات يكون على قسمين؛ الأول أن تكون هذه الآيات معطوفة؛ ولا بد أن تكون بينهما جهة جامعة، كأن يكونا كالشّريكين، أو النّظيرين، أو يكون بينهما علاقة جامعة كالمضادّة مثلا. والثاني، ألا تكون هذه الآيات معطوفة، فلا بد من دعامة تؤذن باتصال الكلام، وهي قرائن معنوية مؤذنة بالربط. والأول مزج لفظي، وهذا مزج

معنوي تنزل الثانية من الأولى منزلة جزئها الثاني، وله أسباب؛ منها: التنظير، التضاد، الاستطراد، الانتقال من حديث إلى آخر.[57]

وسنركز هنا على القسم الثاني الذي يعول على القرائن المعنوية من أجل تحقيق التناسب بين الآيات، وسنذكرها مرتبة ترتيبها الذي جاءت به في كتابه البرهان.

6-1-2-4-1-**التنظير**: ومن أدلته في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾ [الأنفال/5] بعد قوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً﴾[الأنفال/4]. فإنه« تعالى أمر رسولَه أن يَمضي لأمرِه في الغنائم على كُره من أصحابه، كما مضى لأمره في خروجه من بيته لطلب العير أو القتال، وهم له كارهون. والقصدُ أن كراهتهم لِما فَعله من قسمة الغنائم ككراهتهم للخروج. وقد تبيّن في الخروج الخيرُ من الظَّفَر والنَّصرِ والغنيمة وعزّ الإسلام، فكذا يكون فيما فعله في القسمة، فليطيعوا ما أُمروا به ويتركوا هوى أنفسهم».[58]

6-1-2-4-2- **التضاد**: ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الْبَقَرَةِ/ 6]. «فإنه أول السورة كان حديثا عن القرآن الكريم، وأن من شأنه كَيتَ وكَيتَ، وأنّه لا يهدي القوم الذين من صفاتهم كيت وكيت. فرجع إلى الحديث عن المؤمنين، فلما أكمله عقّب بما هو حديث عن الكفار؛ فبينهما جامع وهمي بالتّضاد من هذا الوجه».[59]

6-1-2-4-3- **الاستطراد**: كما في قوله: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف/ 26]. نقل الزركشي في البرهان من تفسير الزمخشري: «هذه الآية واردة على سبيل الاستطراد، عقب ذكر بُدُوّ السوءات وخصف الورق عليها؛ إظهارا للمنّة فيما خلق الله من اللباس، ولما في العُري وكشفِ العورة من المهانة والفضيحة، وإشعارا بأن الستر باب عظيم من أبواب التقوى».[60]

6-1-2-4-4- **الانتقال من حديث إلى آخر**: ويأتي هذا اللون من التناسب كما يقول الزركشي من أجل تنشيط السامع، ومن أدلته من القرآن العظيم قوله تعالى: ﴿ هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ﴾[ص/49]. يقول الزركشي:«فإن هذا القرآن نوع من الذكر، لما انتهى ذكر الأنبياء، وهو نوع من التنزيل، أراد أن يذكر نوعا آخر، وهو ذكر الجنة وأهلها».[61]

6-1-2-5-**مناسبة فواصل الآي للآي التي ختمت بها**: كما دأبنا في المباحث التي مرت علينا، سنقوم أولا بعرض مفهوم الفاصلة، ثم نقف على بعض أوجه مناسبتها للآية التي جاءت فيها.

6-1-2-5-1-مفهوم الفاصلة: الفاصلة*«كلمة آخر الآية كقافية الشِّعر، وقرينة السَّجع».[62] وقال الداني: «كلمة آخر الجملة».[63] وقال القاضي أبو بكر: «الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع، يقع بها إفهام المعاني».[64] وقال الزّركشي: تسمى فواصل« لأنّه ينفصل عنده الكلامان، وذلك أن آخر الآية فصل بينها وبين ما بعدها».[65]

وإذا تبيّن لنا ماهية هذا المفهوم من خلال هذه الأقوال، فهل يجوز لنا استعارة اسم القافية لها أم لا؟. يجيبنا السيوطي عن هذا الاستفسار بقوله: « لا يجوز تسميتها قوافي إجماعا، لأن الله تعالى لما سلب عنه اسم الشعر وجب سلب القافية عنه أيضا، لأنها منه، وخاصة في الاصطلاح، وكما يمتنع استعمال القافية فيه يمتنع استعمال الفاصلة في الشعر، لأنها صفة لكتاب الله تعالى فلا تتعداه».[66]

ذكر الزركشي في باب (ائتلاف الفواصل مع ما يدل عليه الكلام) أربعة أنواع من الفواصل؛ التمكين، التصدير، التوشيح، الإيغال، ورأى أن بينها فروقا تميّز بعضها عن بعض، وتفصيل هذه الأنواع مع فروقها على النحو التالي:

6-1-2-5-2- التمكين: وهو« أن يمهد قبلها، تمهيدا تأتي به الفاصلة ممكنة في مكانها، مستقرّة في قرارها، مطمئنّة في موضعها، غير نافذة ولا قلقة، متعلقا معناها بمعنى الكلام كله تعلقا تامّا؛ بحيث لو طُرحت اختلّ المعنى واضطرب الفهم».[67] ومن أدلّة هذا النوع في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب/ 25]. يقول الزّركشي عن سر ختم هذه الآية بالقوّة وبعدها بالعزّة: «فإن الكلام لو اقتصر فيه على قوله: ﴿ وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ لأوهم ذلك بعض الضعفاء موافقة الكفّار في اعتقادهم أن الرّيح التي حدثت كانت سببَ رُجوعهم، ولم يبلغوا ما أرادوا، وأن ذلك أمر اتفاقي، فأخبر سبحانه في فاصلة الآية عن نفسه بالقوة والعزة ليعلم المؤمنين، ويزيدهم يقينا وإيمانا على أنه الغالب الممتنع، وأن حزبه كذلك، وأن تلك الريح التي هبّت ليست اتفاقا؛ بل هي من إرساله سبحانه على أعدائه كعادته، وأنه ينوّع النَّصر للمؤمنين ليزيدهم إيمانا».[68]

6-1-2-5-3- التصدير: وهو « أن تكون تلك اللفظة بعينها تقدمت في أول الآية، وتسمّى أيضا: رد العجز على الصدر».[69] ومثال هذا النوع قوله تعالى: ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ [الأَحْزَابِ/ 37].

6-1-2-5-4- التّوشيح: «ويسمى به لكون نفس الكلام يدل على آخره؛ نزل المعنى منزلة الوشاح، ونزل أول الكلام وآخره منزلة العاتق والكشح، اللذين يجول عليهما الوشاح، ولهذا قيل فيه: إن الفاصلة تعلم قبل ذكرها».[70] ومن أدلته قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[آلِ عِمْرَانَ/ 33].

6-1-2-5-5- الإيغال: «وسمي به، لأن المتكلم قد تجاوز المعنى الذي هو آخذ فيه، وبلغ إلى زيادة على الحد، يقال: أوغل في الأرض الفلانيّة، إذا بلغ منتهاها، فهكذا المتكلم، إذا تم معناه ثم تعدّاه بزيادة فيه فقد أوغل».[71] ومن أمثلته من التنزيل الحكيم قوله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[المائدة/50]. « فإن الكلام تم بقوله: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً ﴾ ثم احتاج إلى فاصلة تناسب القرينة الأولى، فلما أتى بها أفاد معنى زائدا».[72]

ولأن للفاصلة دورها في تحقيق انسجام الخطاب، فقد تخرج في بعض الأحيان عن الأصل الذي وضعت له في اللغة، ولقد تتبع بعض العلماء هذا الخروج عن الأصل في آي القرآن من أجل حصول هذا التناسب، فوجدوا منها: زيادة حرف لأجلها، حذف همزة أو حرف اطراد، الجمع بين المجرورات، تأخير ما أصله أن يقدم، إفراد ما أصله أن يجمع، جمع ما أصله أن يفرد، تثنية ما أصله أن يفرد، تأنيث ما أصله أن يذكر، صرف ما أصله ألا ينصرف، إمالة ما أصله ألا يمال، العدول عن صيغة المضي إلى الاستقبال،[73] وزاد بعضهم: إيثار تذكير اسم الجنس، إيثار تأنيثه، إيراد الجملة التي رد بها ما قبلها على غير وجه المطابقة في الاسمية والفعلية، إيراد أحد القسمين غير مطابق للآخر، إيراد أحد جزأي الجملتين على غير الوجه الذي أورد نظيرها من الجملة الأخرى، إيثار أغرب اللفظتين، اختصاص كل من المشتركين بموضع، حذف المفعول، الاستغناء بالإفراد عن التثنية، إجراء غير العاقل مجرى العاقل، الإتيان بصيغة المبالغة كقدير وعليم مع ترك ذلك في نحو: هو القادر وعالم الغيب، إيثار بعض أوصاف المبالغة على بعض، الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه، إيقاع الظاهر موضع المضمر، وقوع "مفعول" موقع "فاعل" ، وقوع "فاعل" موقع "مفعول"، الفصل بين الموصوف والصفة، إيقاع حرف مكان غيره، تأخير الوصف غير الأبلغ عن الأبلغ، حذف الفاعل ونيابة المفعول، إثبات هاء السكت، تغيير بنية الكلمة.[74]

وإذا جاءت فواصل الآيات بهذا الخروج من أجل تناسب الخطاب، فيجب أن ننبه إلى أنها جميعها جاءت مع بقاء المعاني صحيحة موافقة لما توجبه أكمل ضروب البلاغة وأتم

أوجه الفصاحة، وهذا القول ذكره جمع عن جمع من أرباب هذه الصناعة، ويكفينا في هذا المقام إيراد قول الزمخشري في« أنه لا تحسن المحافظة على الفواصل لمجردها إلا مع بقاء المعاني على سدادها، على النهج الذي يقتضيه حسن النظم والتئامه. كما لا يحسن تخيّر الألفاظ المونقة في السّمع، السلسلة على اللّسان، إلا مع مجيئها منقادة للمعاني الصحيحة المنتظمة، فأمّا أن تهمل المعاني، ويهتم بتحسين اللفظ وحده، غير منظور فيه إلى مؤاده على بال، فليس من البلاغة في فتيل أو نقير».[75] وهذا دليل واضح على دور المعنى في إنتاج النص وتقبله.

2-6- التناسب الخارجي

تحدثنا في العنصر السابق عن أهم الآليات التي تحكم التناسب الداخلي للنص القرآني، إلا أن هذه الأخيرة في رأي العلماء ليست الوحيدة في شد النص القرآني بعضه ببعض، بل توجد مجموعة أخرى من العلاقات مسؤولة هي أيضا على تحقيق هذا التناسب؛ والتي سنصطلح على تسميتها هنا بعلاقات التناسب الخارجي، هذه العلاقات تكون بين أكثر من سورة.

وفي هذا السياق أيضا أود أن أنبه قبل أن نشرع في عرض بعض هذه الأوجه، إلى أن أغلب الدراسات البلاغيّة بالرغم من جهود العلماء المبذولة، إلا أنها لم تتجاوز في كثير من الأحيان النوع الأول من التناسب، وذلك عن طريق وضعهم مجموعة قوانين لربط بيت القصيدة، أو مقطعها بما قبله وما بعده، على غرار حسن المطلع، وحسن التخلص، وحسن الختام. وقولنا هذا يختص بالجانب التّنظيري منه، وإلاّ فإن أشعارهم مليئة بعلاقات الربط الدلالي بين أجزاء الخطاب.

2-6-1- التناسب بين أسماء السور: مثاله، توالي سورة النجم والقمر، أيضا الشمس والليل والضحى، وهذا التّآخي كما يقول بعض العلماء؛ يكون مقدم على أنواع أخرى من التناسب إذا لم يعارضها ما هو أقوى وآكد في المناسبة.[76]

2-6-2- تناسب مقطع الأولى مع مطلع الثانية: كما في سورة هود مع سورة يوسف؛ فقد ذكر سبحانه في مقطع الأولى:﴿ وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾[هود/ 120]، وهو مناسب كل المناسبة مع مطلع الثانية في قوله: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾ [يوسف/ 3]. [77] أيضا تناسب مقطع سورة الأنبياء مع مطلع سورة

الحج في أنهما تضمنتا وصف الساعة،[78] فالأولى ختمت بقوله تعالى: ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾[الأنبياء/ 97]. والثانية استهلّت بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى ﴾[الحج/ 1-2].

6-2-3- تناسب مطلع الأولى مع مقطع الثانية: وهذه قاعدة من القواعد التي أقرها السّيوطي والتي رأى أنها تَبنِي مع مثيلاتها من القواعد تآخيا وتناسبا بين السور، يقول والقول في كتابه تناسب الدرر: «إذا وردت سورتان بينهما تلازم واتحاد، فإن السورة الثانية تكون خاتمتها مناسبة لفاتحة الأولى، للدلالة على الاتحاد».[79] ومن أمثلة هذا النوع من التناسب في القرآن سورة البقرة مع آل عمران، فإن «آخر آل عمران مناسب لأول البقرة، فإنها افتتحت بذكر المتقين، وأنهم المفلحون، وختمت آل عمران بقوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[آل عمران/ 200]. وافتتحت البقرة بقوله: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾[البقرة/ 4]، وختمت آل عمران بقوله: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ﴾ [آل عمران/ 199]».[80]

6-2-4- تناسب المطلع والمقطع معا: من أوجه التناسب أيضا تناسب مطلع السورة الأولى مع مطلع السورة الثانية، ومقطع الأولى مع مقطع الثانية، ومن أدلته ما جاء في سورة الذّاريات مع سورة الطور، فإن في مطلع كل منهما صفة حال المتقين بقوله تعالى في الأولى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾[الذّاريات/ 15]. وفي الثانية: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ﴾[الطور/ 17]، وفي مقطع كل منهما حال الكفار، بقوله في الأولى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾[الذاريات/ 60]، وفي الثانية: ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾[الطور/ 42].[81] وهذا وجه بديع وعجيب من التناسب.

6-2-5- تناسب مقطع الأولى مع مقطع الثانية: من أوجه التناسب أيضا بين السور، وجود علاقة رابطة بين آخر السورة الأولى مع الثانية، ومن أمثلة هذا النوع سورة الفاتحة مع سورة البقرة، فإن مقطع الأولى خُتِمَ« بالدّعاء للمؤمنين بألاّ يسلك بهم طريق المغضوب عليهم ولا الضّالين إجمالًا، خُتمت سورة البقرة بالدعاء بألاّ يسلك بهم طريقهم في المؤاخذة بالخطأ والنّسيان، وحمل الإصر، وما لا طاقة لهم به تفصيلًا، وتضمن آخرها أيضًا الإشارة إلى طريق المغضوب عليهم والضالين* ».[82]

6-2-6- **التناسب عن طريق علاقة الإجمال والتفصيل**: وهذه قاعدة عمدة بنيت عليها أغلب سور القرآن الكريم، فلا تكاد ترى آية أو مجموعة آيات إلا وقد جاء تفصيلها في موضع آخر في نفس السورة، أو في سورة أخرى، أو أكثر، ولقد ذهب السيوطي في كتابه تناسق الدرر في تناسب السور إلى أبعد من ذلك حينما أقر«أن القاعدة التي استقر بها القرآن: أن كل سورة تفصيل لإجمال ما قبلها، وشرح له، وإطناب لإيجازه،(يكمل) وقد استقر معي ذلك في غالب سور القرآن، طويلها وقصيرها».[83] ومن أدلة هذا الكلام الذي سقناه، تفصيله سبحانه وتعالى في سورة النور لقوله تعالى في سورة المؤمنون: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾[المؤمنون/ 5]. فإنه ذكر «أحكام من لم يحفظ فرجه، من الزّانية والزّاني، وما اتصل بذلك من شأن القذف، وقصّة الإفك، والأمر بغض البصر، وأمر فيها بالنّكاح حفظا للفروج، وأمر من لم يقدر على النّكاح بالاستعفاف، وحفظ فرجه، ونهى عن إكراه الفتيات على الزنا. ولا ارتباط أحسن من هذا الارتباط، ولا تناسق أبدع من هذا النسق».[84]

ومن أدلة تفصيل إجمال السورة الذي وقع في عدة سور ما جاء في سورة الأنعام، فقد جاءت«السورة بأسرها متعلقة بالفاتحة من وجه كونها شارحة لإجمال قوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الفاتحة/ 2]. وبالبقرة من حيث شرحها لإجمال قوله: ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾[البقرة/ 21]، وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾[البقرة/ 29]، وبآل عمران من جهة تفصيلها لقوله: ﴿وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ﴾[آل عمران/ 14]، وقوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾[آل عمران/ 185]. وبالنّساء من جهة ما فيها من بدء الخلق، والتقبيح لما حرموه على أزواجهم، وقتل البنات بالوأد، وبالمائدة من حيث اشتمالها على الأطعمة بأنواعها».[85] وهذا وجه بديع من أوجه التناسب، جعل معنى هذه السور يتعالق مع معاني تلك السور ويلتحم.

7-2-6- **التناسب عن طريق الافتتاح بخطاب النبي**: مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾[المزمل/ 1]. مع قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾[المدثر/ 1]. فهذه متآخية مع تلك في الافتتاح بخطاب النبي -صلى الله عليه وسلم-[86] وهو وجه دقيق قلّ ما يتفطن إليه حتى حذاق هذه الصناعة.

8-2-6- **التناسب عن طريق التّتابع الزّمني**: من الأدلّة التي يظهر فيها هذا اللون من التناسب والربط، سورة المجادلة مع سورة الحشر، ففي آخر الأولى نزل فيمن قتل أقرباؤه من الصحابة يوم بدر، وأول السورة الثانية نازل في غزوة بني النضير وهي عقبها.[87]

9-2-6- **التناسب عن طريق علاقة التضاد**: مرّ بنا في أنواع التناسب الداخلي، أن التّضاد وجه من أوجه التآخي والربط بين الآيات، وهذا النوع أيضا مستخدم بين السور، ومثال الربط بهذه

العلاقة سورة الجمعة مع سورة المنافقين، فالأولى« ذكر فيها المؤمنون، وهذه ذكر فيها أضدادهم، وهم المنافقون. ولهذا أخرج الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في صلاة الجمعة بسورة الجمعة يحرض بها المؤمنين، وبسورة المنافقين يفزع بها المنافقين*».[88]

6-2-10- التناسب عن طريق اشتمال السور على أصناف الأمم: بالإضافة لما قلناه من تناسب هاتين السورتين عن طريق علاقة التضاد، يرى السيوطي أنهما يتآخيان مع سور أخرى ويشكلان علاقة تشتمل على أصناف من الأمم، فسورة الحشر ذكر فيها المعاهدين من أهل الكتاب، وسورة الممتحنة ذكر فيها المعاهدين من المشركين، وسورة الصف ذكر أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وسورة الجمعة ذكر فيها المؤمنين، وسورة المنافقون ذكر فيها المنافقين، وسورة التغابن ذكر فيها المشركين، وبذلك يتضح أن ترتيب السور حسب أصناف الأمم وجه آخر من أوجه التناسب بين السور.[89]

6-2-11- التناسب عن طريق المقابلة: ومن أدلته مقابلة سورة الرحمان لسورة الواقعة« فكأنّ السورتين لتلازمهما واتحادهما سورة واحدة، ولهذا عكس في الترتيب»،[90] فذكر في أول الواقعة ما ذكره في آخر الرحمان، وفي آخر الواقعة ما في أول الرحمان«فافتتح الرحمن بذكر القرآن، ثم ذكر الشمس والقمر، ثم ذكر النّبات، ثم خلق الإنسان، والجان من مارج من نار، ثم صفة القيامة، ثم صفة النار، ثم صفة الجنّة. وابتدأ هذه بذكر القيامة، ثم صفة الجنة، ثم صفة النار، ثم خلق الإنسان، ثم النبات، ثم الماء، ثم النار، ثم النّجوم، ولم يذكرها في الرحمن، كما لم يذكر هنا الشمس والقمر، ثم ذكر القرآن. فكانت هذه السورة كالمقابلة لتلك، وكردّ العَجُز على الصَّدْر».[91]

أيضا سورة الماعون مع سورة الكوثر، حيث قابل البخل في الأولى في قوله تعالى: ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ وَلاَ يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾[الماعون/ 2-3] بالخير الكثير في الثانية بقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَاكَ اَلْكَوْثَرَ﴾[الكوثر/ 1]، وقابل ترك الصلاة في قوله: ﴿ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ﴾[الماعون/ 5] بالمداومة على الصلاة في قوله: ﴿فَصَلِّ﴾[الكوثر/ 2]، وقابل المراءاة في الصلاة في قوله: ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَآءونَ﴾[الماعون/ 6]، بالإتيان بالصلاة لمرضاته في قوله: ﴿لِرَبِّكَ﴾[الكوثر/ 2]، وقابل منع الماعون في قوله: ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾[الماعون/ 7]، بالتصدق بلحم الأضاحي في قوله: ﴿وَانْحَرْ﴾[الكوثر/ 2].[92]

6-2-12- **التناسب في الجمل**: ومثاله تناسب سورة الضحى مع سورة الشرح، وما يؤيد هذا النوع من التناسب، ما جاء في الحديث الصحيح: « سَألتُ ربِّي مسألةً وَوَدِدتُ أنّي لم أسأله، قلتُ: يا ربِّ! كانت قبلي رسلٌ، منهم من سَخَّرتَ له الرّياحَ، ومنهم من كان يُحيي الموتى، [وكلّمتَ موسى]. قال: ألم أجِدك يتيماً فآويتُكَ؟ ألم أجِدك ضالاً فهديتُك؟ ألم أجِدك عائلا فأغنيتُك؟ ألم أشرح لك صَدرك، وَوَضَعتُ عنك وِزرك؟ قال: فقلت بلى يا رب! [فوددتُ أن لم أسأله] ».[93] وفي هذا كما يقول السيوطي «أوفى دليل على اتصال السورتين معنى»،[94] هذا المعنى هو الذي يعتبر أوكد شيء لتحقيق التناسب والتضام.

6-2-13- **التناسب في موضوع القصص**: ونقصد به وجود ارتباط وتناسب من ناحية موضوع القصص، وقد يكون هذا التناسب بين أجزاء السورة الواحدة كما قد يكون بين أكثر من سورة، ومثال النوع الثاني، تآخي سورة الكهف مع سورة مريم، فإن« سورة الكهف اشتملت على عدة أعاجيب: قصّة أصحاب الكهف، وطول لبثهم هذه المدة الطويلة بلا أكل ولا شرب، وقصة موسى مع الخضر، وما فيها من الخرافات، وقصة ذي القرنين (وسورة مريم اشتملت على أعجوبتين): قصة ولادة يحي بن زكريا، وقصة ولادة عيسى»،[95] فناسب ترتيب الثانية بعد الأولى كل المناسبة.

6-2-14- **التناسب عن طريق موقع العلة للأمر**: ومثاله تآخي سورة الواقعة مع الحديد؛ فالأولى ختمت بالأمر بالتسبيح في قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة/ 96]، والثانية قدمت بذكره في قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[الحديد/ 1]،[96] وزاد السيوطي على هذا بقوله: «أول الحديد واقع موقع العلة للأمر به، وكأنّه قيـــل: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ لأنه ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ».[97]

7- خاتمة

انصرف جهدنا في هذا البحث إلى إبراز أهم الآليات التي يظهر من خلالها أن النص القرآني نص متلاحم متعالق من أوّله إلى آخره ليظهر كالكلمة الواحدة في معناه. وقد خلص البحث إلى عدة نتائج نوردها في هذه الخاتمة على النحو التالي:

- من أوكد الأدلّة التي تظهر لنا وجود دراسات جادة في التراث البلاغي العربي تُعنَى بانسجام الخطاب، المصنّفات الكثيرة التي بَيّنت لنا ماهية هذا المفهوم، والتي بينت العديد من مظاهره.

- جاء تناسب الخطاب القرآني في شقّين، اهتم الشق الأول بإبراز أهم علاقات التناسب التي تحكم السورة الواحدة وذلك عن طريق:

- تناسب اسم السورة مع مضمونها.

- التناسب عن طريق تعالق المطلع مع المقطع.

- التناسب عن طريق حسن التخلص .

- تناسب فواصل الآي مع آياتها عن طريق: التنظير، التضاد، الاستطراد، الانتقال من حديث إلى آخر.

- التناسب بين الآي عن طريق مجموعة من العلاقات: كالتمكين، التصدير، التوشيح، والإيغال.

أما الشق الثاني فقد اهتم بإبراز أهم علاقات الانسجام بين السور، ومن أهمها:

- دور مطالع ومقاطع السور في إيجاد هذا المفهوم.

- علاقة الإجمال والتفصيل، علاقة التضاد، المقابلة، أسماء السور، التناسب في الجمل، التتابع الزمني، وغيرها من العلاقات.

- تقودنا هذه النتيجة بالقول بأن علاقات الانسجام التي جاءت في الدرس البلاغي العربي القديم فاقت بكثير ما جاءت به الدراسات الحديثة.

لا ندعي في هذه الورقة البحثية الإحاطة بكل أنواع التناسب الحاصل في الخطاب القرآني، لأنه كما استقر عند العلماء، أن أسراره لا تكتمل، وحِكَمه لا تنقضي، وأن ما أردناه هنا هو إبراز بعض العلاقات التي عنيت بانسجام الخطاب.

وهي دعوى إلى الباحثين لإكمال ما بدأ به البحث، ولما لا توسيع الدراسة لتشمل تناسب الخطاب القرآني مع الخطاب النّبوي الشريف.

8- قائمة المصادر والمراجع

*** القرآن الكريم**

- أحمد بن محمد بن علي المقري، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، دار المعارف، القاهرة، ط2، د.ت.

- إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ط2، 1979.

- ابن أبي الإصبع، بديع القرآن، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ب، د.ط، د.ت.

-أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، دار ابن كثير، دمشق-بيروت، ط1، 2002.

- بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، دار التراث، القاهرة، د.ط، د.ت.

- برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ط، د.ت.

- أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، إعجاز القرآن، دار المعارف، مصر، د.ط، د.ت.

- تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، الكلم الطيب، تح محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 2001.

- أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي، البرهان في ترتيب سور القرآن، ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، د.ط، 1990.

- جلال الدين عبد الرحمان السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المملكة العربية السعودية، د.ط، د.ت.

- جلال الدين السيوطي، تناسق الدرر في تناسب السور، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1986.

- جلال الدين السيوطي، مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع، مكتبة المنهاج، الرياض، ط1، 1426 هـ.

- أبو الحسن حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، دار الغرب الإسلامي، د.ب، د.ط، د.ت.

- روبيرت دي بوجراند وإلهام أبو غزالة وولفغانغ دريسلر وعلي خليل حمد، مدخل إلى علم لغة النص، مطبعة دار الكاتب، نابلس، ط1، 1992.

- روبيرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، تر تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1998.

- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، د.ط، 1992.

- ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة-القاهرة، د.ط، د.ت.

- أبو علي محمد بن حسن بن المظفر الحاتمي، حلية المحاضرة في صناعة الشعر، دار الرشيد للنشر، العراق، د.ط، 1979.

- فان دايك، النص والسياق، تر عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، بيروت-لبنان، د.ط، 2000.

- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت-لبنان، د.ط، د.ت.

- أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، المعجم الأوسط، دار الحرمبن، القاهرة، د.ط، 1995.

- محمد أحمد بن طباطبا العلوي،عيار الشعر، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط2، 2005.

- محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، مشكاة المصابيح، تح محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط2، 1979.

- محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1991.

- محمد الرازي فخر الدين، مفاتيح الغيب، دار الفكر، د.ب، ط1، 1981.

- محمد العبد، اللغة والإبداع الأدبي، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة- مصر، ط2، 2007.

- محمد ناصر الدين الألباني،أصل صفة صلاة النبي، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 2006.

- محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1996.

- محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان التوحيدي ، تفسير البحر المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1993.

- محمود بن حمزة الكرماني، أسرار التكرار في القرآن، دار الفضيلة، د.ب، د.ط، د.ت.

9-الهوامش

[1] ينظر روبيرت دي بوجراند، إلهام أبو غزالة، ولفغانغ دريسلر، علي خليل حمد، مدخل إلى علم لغة النص، مطبعة دار الكاتب، نابلس، ط1، 1992، ص9.

[2] المرجع السابق، ص8.

[3] ينظر روبيرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، تر تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1998، ص103.

[4] المرجع نفسه ، ص103.

[5] المرجع نفسه ، ص103.

[6] المرجع نفسه ، ص103.

[7] المرجع السابق، روبيرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص104.

[8] روبيرت دي بوجراند، إلهام أبو غزالة، ولفغانغ دريسلر، علي خليل حمد، مدخل إلى علم لغة النص، ص32-33.

[9] روبرت دي بوجراند، النص و الخطاب والإجراء ، ص104.

[10] المرجع نفسه ، ص104.

[11] روبيرت دي بوجراند وإلهام أبو غزالة وولفغانغ دريسلر وعلي خليل حمد، مدخل إلى علم لغة النص، ص27.

[12] المرجع نفسه، ص27.

[13] المرجع نفسه، ص27.

[14] المرجع نفسه، ص27.

[15] المرجع نفسه، ص27.

[16] ينظر محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1991، ص6.

[17] ينظر روبيرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص103.

[18] ينظر محمد العبد، اللغة والإبداع الأدبي، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة- مصر، ط2، 2007، ص41-43.

[19] ينظر المرجع نفسه، ص44.

[20] ينظر فان دايك، النص والسياق، تر عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، بيروت-لبنان، د.ط، 2000، ص200-203 ، ينظر صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، د.ط، 1992، ص238-241، ينظر محمد العبد، اللغة والإبداع الأدبي، ص47.

[21] صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص238.

[22] ينظر فان دايك، النص والسياق، ص150-163.

[23] ينظر روبيرت دي بوجراند وإلهام أبو غزالة وولفغانغ دريسلر وعلي خليل حمد، مدخل إلى علم لغة النص ، ص 124-130.

[24] إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ط2، 1979، 224/1.

[25] أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت-لبنان، د.ط، د.ت، 756/1.

[26] أحمد بن محمد بن علي المقري، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، دار المعارف، القاهرة، ط2، د.ت، ص602.

[27] برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ط، د.ت، 5/1.

[28] أبو علي محمد بن حسن بن المظفر الحاتمي، حلية المحاضرة في صناعة الشعر، دار الرشيد للنشر، العراق، د.ط، 1979، 215/1.

[29] محمد أحمد بن طباطبا العلوي، عيار الشعر، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط2، 2005، ص129.

[30] جلال الدين عبد الرحمان السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المملكة العربية السعودية، د.ط، د.ت، ص1837.

[31] المرجع السابق، ص1838-1839.

[32] محمد الرازي فخر الدين، مفاتيح الغيب، دار الفكر، د.ب، ط1، 1981، 139/07، جلال الدين عبد الرحمان السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص1839.

[33] المرجع نفسه، 145/10، جلال الدين عبد الرحمان السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص1836.

[34] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، دار التراث، القاهرة، د.ط، د.ت، 36/1. جلال الدين عبد الرحمان السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص1838.

[35] محمود بن حمزة الكرماني، أسرار التكرار في القرآن، دار الفضيلة، د.ب، د.ط، د.ت، ص68، ينظر جلال الدين السيوطي، تناسق الدرر في تناسب السور، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1986، ص57.

[36] ينظر جلال الدين السيوطي، تناسق الدرر في تناسب السور، ص57-58.

* أي أن القرآن كما يقول السيوطي وقع فيه النسخ كثيرًا للرسم، حتى لسور كاملة، وآيات كثيرة، فلا بدع أن يكون الترتيب العثماني هو الذي استقر في العرضة الأخيرة؛ كالقراءات التي في مصحفه، ولم يبلغ ذلك أبيًّا وابن مسعود، كما لم يبلغهما نسخ ما وضعاه في مصاحفهما من القراءات التي تخالف المصحف العثماني؛ ولذلك كتب أبي في مصحفه سورة الحفد، والخلع، وهما منسوختان، المرجع نفسه، ص60.

[37] أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي، البرهان في ترتيب سور القرآن، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، د.ط، 1990، ص187.

** هذه الأثار وغيرها مذكورة في البرهان، ينظر المرجع نفسه، ص185-186.

*** عن أبي أمامة، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «اقرؤوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه، اقرؤوا الزهراوين: البقرة وسورة آل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو غيايتان أو فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما، اقرؤوا سورة البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة». رواه مسلم، محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، مشكاة المصابيح، تح محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط2، 1979،ص654، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي،البرهان في ترتيب سور القرآن، ص185.

[38] أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، دار ابن كثير، دمشق-بيروت، ط1، 2002، ص1277.

[39] تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، الكلم الطيب، تح محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 2001، ص75.

[40] ينظر أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي، البرهان في ترتيب سور القرآن، ص185.

[41] المرجع السابق، ص183.

[42] المرجع السابق، ص184.

[43] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 263/1.

[44] المرجع السابق، 264/1.

[45] جلال الدين عبد الرحمان السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص346.

[46] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 264/1.

[47] جلال الدين عبد الرحمان السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص347.

[48] برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 18/1-19.

[49] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 270/1.

[50] أبو الحسن حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، دار الغرب الإسلامي، د.ب، د.ط، د.ت، ص309.

[51] ابن أبي الإصبع، بديع القرآن، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ب، د.ط، د.ت، ص64.

[52] جلال الدين السيوطي، تناسق الدرر في تناسب السور، ص64.

[53] محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان التوحيدي، تفسير البحر المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1993، 378/2.

[54] ينظر جلال الدين السيوطي، مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع، مكتبة المنهاج، الرياض، ط1، 1426 هـ.
[55] ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة-القاهرة، د.ط، د.ت، 121/3.
[56] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 43/1.
[57] ينظر المرجع نفسه، 40/1-50.
[58] جلال الدين عبد الرحمان السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص1841.
[59] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص49.
[60] المرجع نفسه، 49/1.
[61] المرجع نفسه، ص50.
[*] والضابط في معرفة الفواصل طريقان: الأول توقيفي والثاني قياسي، أما عن « التّوقيفي فما ثبت أنه صلى الله عليه وسلم وقف عليه دائما تحققنا أنه فاصلة، وما وصله دائما تحققنا أنه ليس بفاصلة، وما وقف عليه مرة، ووصله أخرى، احتمل الوقف أن يكون لتعريف الفاصلة، أو لتعريف الوقف التام، أو للاستراحة، والوصل أن يكون غير فاصلة، أو فاصلة وصلها لتقدم تعريفها. وأما القياسي: فهو ما ألحق من المحتمل، غير المنصوص، بالمنصوص لمناسب»، جلال الدين عبد الرحمان السيوطي، الإتقان في علوم القرآن ، ص1785
[62] المرجع نفسه، ص1784، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 53/1.
[63] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 53/1.
[64] أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، إعجاز القرآن، دار المعارف، مصر، د.ط، د.ت، ص270، جلال الدين عبد الرحمان السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص1784، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 53/1.
[65] جلال الدين عبد الرحمان السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص1786، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، 54/1.
[66] المرجع نفسه، ص1787.
[67] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 79/1.
[68] المرجع نفسه، 79/1.
[69] جلال الدين عبد الرحمان السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص1817.
[70] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص95.
[71] المرجع نفسه، 96/1.
[72] المرجع نفسه ، 96/1.
[73] ينظر المرجع السابق، 61/1-67.
[74] ينظر جلال الدين عبد الرحمان السيوطي، الإتقان في علوم القرآن ، 1794-1803.
[75] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 72/1.
[76] ينظر جلال الدين السيوطي، تناسق الدرر في تناسب السور، ص ص 120، 137.
[77] ينظر المرجع نفسه، ص94.

[78] ينظر المرجع نفسه، ص103.
[79] المرجع نفسه، ص74.
[80] المرجع نفسه، ص74.
[81] ينظر المرجع السابق، ص119.
[*] في قوله تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾[البقرة/ 285].
[82] جلال الدين السيوطي، تناسق الدرر في تناسب السور، ص70.
[83] المرجع نفسه، ص65.
[84] المرجع نفسه، ص104.
[85] المرجع السابق، ص85-86.
[86] ينظر جلال الدين السيوطي، تناسق الدرر في تناسب السور ، ص130.
[87] ينظر المرجع نفسه، ص122.
[*] رجعت إلى المصدر الذي ذكره المؤلف فوجدت نصّه:عن أبي هُريرةَ، قال: «كَانَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم مِمَّا يَقرَأُ في صلاةِ الجُمعةِ بالجُمعةِ، فيُحرِّض به المُؤمنينَ، وفي الثَّانيةِ بسورةِ المنافقينَ فيُفزِعُ به المُنافقينَ»، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، المعجم الأوسط، دار الحرمين، القاهرة، د.ط، 1995، 112/9، وفي أصل صفة صلاة النبي: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يقرأ في صلاة الجمعة ب: الجمعة، فيحرّض به المؤمنين، وفي الثانية بسورة المنافقين؛ فيقرّع به المنافقين»، محمد ناصر الدين الألباني،أصل صفة صلاة النبي، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 2006، 546/2.
[88] جلال الدين السيوطي، تناسق الدرر في تناسب السور، ص124.
[89] ينظر المرجع نفسه، ص125.
[90] المرجع نفسه، ص121.
[91] المرجع السابق، ص121.
[92] ينظر محمد الرازي فخر الدين، مفاتيح الغيب، 117/32.
[93] محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1996، 86/6.
[94] جلال الدين السيوطي، تناسق الدرر في تناسب السور، ص139.
[95] المرجع نفسه، ص101.
[96] ينظر المرجع السابق، ص121.
[97] جلال الدين السيوطي، تناسق الدرر في تناسب السور ، ص122.